

(الطالب الجامعي والسلوك المنحرف)

-قراءة سوسيولوجية-

أ/ خديجة قفاف، جامعة-عنابة-

ملخص:

إن محاولة حصر بعض أنماط الانحراف في الوسط الجامعي بالتوازي مع سيورة التحول التي يعرفها المجتمع الجزائري خاصة بالنسبة للتغيرات التي مست المنظومة القيمية وأثرها على سلوك الأفراد والجماعات، تنطلق من موقع الجامعة وأهمية مشاركتها في الحراك الاجتماعي والمساهمة في بناء مجتمع المعرفة كرهان تفرضه الإملات الداخلية والخارجية وضرورة الإعتماد على الرأس مال البشري كمحرك للتنمية. إلا أن إنتشار بعض الممارسات عند الطلبة الجامعيين "كالعنف والغش والسرقة العلمية" قد تكون معوقا وظيفيا لهذا المسار. مما يُفسر أهمية مقارنة هذه الجزئية بالتحليل والنقاش سوسيولوجيا. كلمات مفتاحية: الانحراف- العنف- الغش- السرقة العلمية.

Abstract :

The aim of this study is talk about different forms of deviation in the university, in parallel with the transformations of the Algerian society, especially those in the value system and its impact on the individual and group behaviour. For that purpose, We started talking about the position of the university and the importance of its contribution to social mobility as well as in building the knowledge society and the contribution to development by creating a human capital.

But the observation of such behaviours as violence, cheating and plagiarism among university students, which can serve as an obstacle to achieving these goals of the university, explains the need for a sociological approach to discuss and analyze the problem.

Key words :deviation-violence-cheating-plagiarism.

مدخل عام:

تقاس فعالية أداء أي مؤسسة أو منظومة من خلال جودة مخرجاتها وكذا قدرتها على التكيف مع المتطلبات الوظيفية فالجامعة كمؤسسة لإنتاج المعرفة تركز على دورها في تكوين الكفاءات المؤهلة علميا وتأطير نخبة المجتمع، هذا بالإضافة إلى كونها فضاء إجتماعي لا يمكن عزله عن المنظومة المجتمعية من خلال تفاعلها مع مختلف مكوناته وعناصره في نطاق العملية التبادلية تأثيرا وتأثرا. لذلك فإن أي خلل وظيفي على مستوى البنية المجتمعية قد يؤثر على ديناميكية وحراك الجامعة خاصة في ظل التحديات التي تفرزها العولمة ورهانات مجتمع المعرفة الذي يندمج مع معالم السوق الكونية والقدرة على المنافسة في إطار النسق المفتوح. لذلك فإن الخروج عن نسق التوقعات المرتبط بوظيفة الجامعة وأهدافها وكذلك صورتها في المخيال الجمعي يعتبر نمطا من أنماط الانحراف خاصة إذا ارتبط بسلوكات وممارسات أحد أهم فاعليه ومكوناته أي الطلبة الجامعيين، مما يطرح العديد من التساؤلات حول عوامل ومحددات تشكل السلوك المنحرف لدى الطالب الجامعي؟

1- سوسيولوجيا الانحراف:

عرف موضوع الانحراف إهتماما واسعا من طرف المختصين والباحثين في العلوم الاجتماعية نظرا لإنعكاساته السلبية على البناء المجتمعي ودينامية نظمه، فاختلقت النظريات العلمية والمقاربات التي تحاول تفسيره وذلك بالرجوع إلى فهم أبعاد وآليات

تشكل السلوك الإنساني بصفة عامة وإعتبار الانحراف حسب بعض الإتجاهات صورة من صور السلوك المرضي -غير السوي- وتداخله مع التركيبة العضوية للفرد. غير أن هذا التفسير عرف العديد من الانتقادات نظرا لتركيزه على العامل البيولوجي وعزله عن البيئة الخارجية بمختلف محدداتها وتداخل عناصرها، لذلك برزت العديد من الإتجاهات التي حاولت تفسير السلوك المنحرف للأفراد وفقا لتصور شمولي؛ وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الإطلاع على التراث السوسيولوجي بالنسبة لموضوع الانحراف حيث برزت العديد من النظريات التي تحاكي محاولة التعرف على العوامل الكامنة وراء السلوك المنحرف ومنها:⁶⁸

1-1: نظرية المخالطة الفارقة (سذرلاند) يعتبر أن الانحراف نتاج لعملية التفاعل بين أشخاص منحرفين أي أنه عبارة عن سلوك مكتسب يحدث نتيجة للتقليد والمحاكاة بالتقاطع مع تصور "غابريال تارد" وهذا قد يلغي الفروقات الفردية ودرجة الاستجابة التي تختلف من فرد لآخر نتيجة التداخل بين العديد من العوامل وهو النقد الذي تلقته هذه النظرية.

2-1: نظرية الثقافة الفرعية (البرت كوهين) يعتبر "كوهين" في هذا السياق أن السلوك الانساني بصفة عامة وليس السلوك المنحرف فقط عبارة عن سلسلة متصلة من الجهود التي يبذلها الفرد لحل المشاكل التي يواجهها خلال موقف معين وفي اطار مرجعي محدد.

لذلك ينظر للانحراف باعتباره رد فعل عكسي على المجتمع وضوابطه السلوكية حيث يشترك مجموعة من الأفراد الذين يحملون نفس المعايير لتشكيل ثقافة فرعية لا تستجيب لثقافة المجتمع كشكل من أشكال الحماية التي توفرها لهم ضد رد فعل الأغلبية أو المجتمع.

3-1: نظرية الوصم (هوارد بيبكر) يعتبر رواد هذه النظرية أن الانحراف نتيجة حتمية أو متغير تابع نظرا لمبالغة المجتمع في إقصاء أو نبذ من يعتبرهم خارجين عن العرف المجتمعي السائد، وذلك من خلال إستخدام نظام اجتماعي للوصم يشغل في إطار منظومة رقابية عنيفة أو إقصائية ليتشكل بذلك السلوك المنحرف كرد فعل حيث ان "الموصوم يصبح صورة طبق الأصل لما وصم به".

4-1: نظرية الأنومي (ايميل دور كايم) تُبرز هذه النظرية العلاقة بين الحاجات ووسائل إشباعها خاصة في إطار الأزمات العميقة التي تؤدي الى حدوث تحولات سريعة في بنية المجتمع بالتوازي مع الحروب أو الأزمات المالية أو العامل التكنولوجي وإفرازات ذلك على مستوى المنظومة المجتمعية وما يصاحبها من حالة إختلال وظيفي قد يمس البنى المادية وغير المادية للمجتمع بما في ذلك نسق القيم والتحويلات المصاحبة له على مستوى السلوك والممارسات، بمعنى أن "دوركايم" يعتبر بأن الانحراف شكل من أشكال الإستجابة المجتمعية للأزمة القيمية أو ما يعبر عنه باللامعيارية -الأنومي- تلك الحالة التي تُفسر في قلب التغيرات التي تطرأ على البناء المجتمعي وإنعكاساتها على مستوى المنظومة المجتمعية وكذا سلوك الأفراد والجماعات والإستجابات السلبية لتلك التغيرات في شكل أنماط مختلفة للانحراف. هذا ما يفتح المجال للحديث عن الصعوبة المعرفية في تحديد مفهوم الانحراف، الذي يعتبر من أكثر المفاهيم تعقيدا نظرا لإرتباطه بالسلوك الإنساني بالدرجة الأولى وتنوع الاتجاهات والمدارس الفكرية التي حاولت معالجة هذا الموضوع وفقا لتصورات مختلفة قد تتقاطع مع المبنى العلمي المعرفي أحيانا، وتأخذ أحيانا أخرى منحنى أيديولوجيا مما يصعب من مهمة الباحث في التموقع وبناء المفاهيم بشكل أقرب للموضوعية منه لمحددات ذاتية. وفي هذا السياق يمكن التطرق للتعريف الذي نحتة "كوهين" للانحراف حيث يعتبره "إنتهاكا للقواعد والقوانين التي تحكم سيرورة المجتمع" فيما يعتبره "ايميل دور كايم" نتاج اجتماعي وإفراز طبيعي للتغير الاجتماعي الذي قد يمر به أي مجتمع، فالانحراف لديه عبارة عن ممارسات لامعيارية تفرزها وضعية الأنومي "التي تعبر حسب "ليو سرول" عن تقاطع تصور الفرد وإدراكه للبيئة الاجتماعية ومكانته وموقعه في هذه البيئة وشعوره بالعبثية واللاجدوى⁶⁹ بالتوازي مع التحويلات التي قد تمس النسق القيمي في إطار سيرورة التحول العام. فالانحراف قد يحمل مدلولاً سلبياً بالنسبة للبناء الكلي، لكن "دوركايم" لا يلغي وظيفيته من خلال تحفيز الجهاز المناعي للمجتمع ضد الانحراف.

2- الطالب الجامعي وثالوث الانحراف (العنف -السرقه العلمية- الغش):

عدي السمرى وآخرون: علم اجتماع الجريمة والانحراف، دار المسيرة، عمان/الأردن، 2010، ص-ص 37-444- بتصرف⁶⁸

⁶⁹Ekaterina Lytkina : Anomie and Anomia-An Approach towards the measurement of social well- being and deviance ,laboratory for comparative social research S E,Moscow,2012,p.5.

يمكن الإنطلاق من التصور الدوركايمي كمقاربة سوسيوولوجية للإنحراف، لكن دون إهمال العوامل المتداخلة في تشكيل السلوك المنحرف بشكل عام سواء عوامل نفسية أو اجتماعية حيث يسعفنا "دوركايم" في هذا السياق لتصنيف بعض صورة الإنحراف على مستوى الجامعة في دائرة الممارسات اللامعيارية والتي يتم من خلالها إنتهاك القواعد المعيارية والضوابط السلوكية للوسط الجامعي، وإنعكاسات تلك الإفرازات على أداء المنظومة الجامعية ككل. وهنا يمكن الإشارة لبعض تلك الممارسات و المتمثلة في العنف "الجسدي أو اللفظي و الغش في الإمتحانات و السرقة العلمية". خاصة أن انتشار مثل هذه المظاهر في جامعاتنا قد يعد في حد ذاته إنحرافا عن المسار الوظيفي للجامعة ودورها التنموي.

1-2: العنف: تعرف الساحة العلمية نقاشات عديدة حول مدلول العنف ودوافعه حيث يمكن التمييز بين أطروحتين أساسيتين في هذا السياق، أولها يركز على إعتبار العنف سلوك فطري ومن بين المدافعين عن هذا التصور رائد مدرسة التحليل النفسي "سيغموند فرويد" الذي يرى بأن العنف عبارة عن "نزوع عدواني وليس سلوكا مكتسبا إذ يمثل ميلا طبيعيا لإشباع اللذات الغريزية"⁷⁰ في حين يبرز التصور المضاد والذي يمثل العنف لديه سلوكا مكتسبا باعتباره إستجابة لعوامل موضوعية في البيئة الخارجية. وفي ذلك يقول "ايريك فروم" "ليست الطبيعة البشرية نفسها هي التي تدفع فجأة للعنف بل هناك طاقة تدميرية كامنة تغذيها بعض الظروف الخارجية والأحداث المفاجئة فتدفع بها الى الظهور"⁷¹. وفي سياق هذه التصورات نُحتت جملة من المفاهيم التي تحاكي مدلول العنف في أبعاده المختلفة، فالعنف حسب باربرا ويتم: "فعل مؤذ أو مدمر يقوم به فرد أو جماعة ضد أخرى"⁷²، كما يشير المفهوم أيضا إلى النزعة العدوانية التي تتراوح بين ممارسة القهر المادي أو الايذاء المعنوي المباشر وغير المباشر⁷³. إن مقارنة هذه المفاهيم والإطار التصوري للعنف ومحاولة إجراء عملية إسقاطية لهذه الأبعاد على سلوك الطالب الجامعي يستدعي تقصي واقع العنف بمختلف أشكاله سواء الجسدي أو اللفظي "باعتبار المنحى التطوري الذي سجله خاصة خلال السنوات الأخيرة وذلك بشهادة العديد من الأساتذة والفاعلين الإجتاعيين عبر جامعات الوطن. وبالرغم من إعتبارها ممارسات معزولة إلا أنها تبقى دخيلة على النسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري. فبعض المختصين يرجع تنامي ظاهرة العنف في الجامعات الجزائرية إلى الأزمة الأمنية التي مر بها المجتمع الجزائري في ظل العشرية السوداء وإنعكاسات تلك الأحداث على تركيبة الفرد الجزائري الذي أصبح يتسم بالميل إلى العدوانية والسلوك العنيف كإستجابة طبيعية لعدم إحساسه بالأمن الاجتماعي بمختلف أبعاده. فتسجيل حالات للاعتداء الجسدي أو اللفظي على الأساتذة في الحرم الجامعي أو بين الطلبة أنفسهم وصولا إلى إستخدام الأسلحة البيضاء وتوظيف عبارات بذيئة حتى في إطار سيرورة التواصل البيئي، يحتم على المختصين في العلوم السلوكية التدخل لتشخيص مختلف هذه الظواهر وتقصي العوامل الكامنة وراء انتشارها ولو بشكل نسبي حتى يتم تفعيل الوسائل الوقائية والآليات العلاجية قبل أن تتحول مثل تلك الممارسات المصنفة في خانة الإنحراف السلوكي إلى فعل إجرامي خطره ممتد إلى المجتمع ككل، وأثره سلبى على أداء الجامعة وصورتها في المخيال الاجتماعي.

2-2: السرقة العلمية: إمتدادا لصور الإنحراف في الوسط الجامعي وعند فئة الطلبة خاصة، يجب التوقف عند ما يمكن أن يعتبره البعض ظاهرة في الجامعة الجزائرية وهنا الحديث عن السرقات العلمية التي عرفتها وزارة التعليم العالي إنطلاقا من المنشور المتعلق بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها على أنها: "كل عمل يقوم به الطالب أو الأستاذ الباحث من إقتباس أو ترجمة أو استخدام لخرائط أو بيانات أو أفكار دون ذكر مصدرها أو صاحبها بما يتضمن الإنتحال أو تزوير نتائج البحث أو الغش في الأعمال العلمية..."⁷⁴ إن محاولة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي حصر أشكال السرقة العلمية جاء بغرض تضيق دائرة هذه الممارسات اللامعيارية لما لها من تأثير على مقروئية الشهادة العلمية وتصنيف الجامعة الجزائرية في الساحة العالمية وانخفاض مستوى البحث العلمي وأداء الجامعة ومخرجاتها، حيث يمكن إجراء قراءة تحليلية لتصنيف « webometrice » للجامعات في العالم سنة 2017،

سيغموند فرويد: قلق في الحضارة، ط.4، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1996، ص.72، 70.

⁷¹ Erich fromm: the anatomy of human destructiveness, holt rime hart & Winston inc, new york, 1973, p9.

باربرا ويتم: الأنماط الثقافية للعنف، ترجمة: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، العدد 337، الكويت، 2007، ص.3، 72.

حسين طه عبد العظيم: سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007، ص.ص.20-21، 73.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها، قرار رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016. 74.

إذ احتلت أول جامعة جزائرية الرتبة 2131 عالمياً⁷⁵، مما يفتح المجال للتساؤل عن العوامل الكامنة وراء ذلك والإحتمالات التقديرية كإجابة مقترحة من طرف الفاعلين الجامعيين ترتبط العديد منها بانخفاض مستوى البحث العلمي الذي يرتبط مساره بممارسات لاعيارية في مقدمتها السرقة العلمية التي أخذت تتغلغل في الجامعة الجزائرية، ونظراً لغياب مصادر رسمية وإحصائيات دقيقة حول حالات السرقة العلمية المسجلة عبر مختلف جامعات الوطن يبقى المصدر الأولي هو الإعتماد على النسب التقديرية. وفي هذا الصدد يرى الأستاذ "فارس مسدور" أن السرقات العلمية في مذكرات الليسانس بلغت 60% والمجستير 20% أما الدكتوراه 10% في حين تؤكد وزارة التعليم العالي على عدم المبالغة، على اعتبار أن السرقات العلمية ممارسات فردية ومعزولة⁷⁶ أي لا يمكن تصنيفها في خانة الظاهرة الاجتماعية وفقاً لمعيار التكرار والإنتشار بالرغم من تداخل كل تلك المعطيات مع مدخلات المؤسسات الجامعية التي عرفت في السنوات الأخيرة تبني مقاربة كمية على حساب جودة التكوين الذي يعتبر إحدى أهم المؤشرات التي تعتمد عليها مؤسسات حكومية وأخرى غير حكومية في تصنيف جامعات العالم وتحديد موقع تأثيرها وانفتاحها وتميزها البحثي وكذا قدرتها على المنافسة من خلال انتاجها المعرفي وقيمتها في السوق العالمية.

إضافة إلى العوامل سابقة الذكر ومساهمتها في تأخر تصنيف الجامعة الجزائرية في مراتب قد تعكس دينامية داخلية وحراك عمودي يمتد تأثيره للمحيط الاجتماعي المحلي والدولي، يمكن التأكيد على إمكانية تموقع الجامعة الجزائرية في الساحة الأكاديمية العالمية من خلال التركيز على إعادة هيكلة وإصلاح نظام التعليم العالي بما يتفق مع المقاربة النوعية وجودة التكوين وتأهيل الرأسمال البشري في شكل مخرجات جامعية قادرة على المساهمة في مشروع بناء مجتمع منتج، إلا أن هذا المخطط التنموي قد يصطدم ببنية مجتمعية عرفت في إطار سيرورة تغييرها إستدماج نسق قيمي قد يكون مثبطاً للحراك الاجتماعي، وهنا يمكن الإشارة إلى حدود تأثير طبيعة المنظومة المجتمعية على الجامعة، ومن صور هذا التأثير مثلاً تبني الغش كوسيلة للإنتقال من مرحلة تعليمية إلى أخرى أو من مستوى لآخر مما يطرح التساؤل حول مصداقية الشهادة المتحصل عليها خلال المرحلة الجامعية؟

2-3: الغش: إن الغش في الإمتحانات يعبر عن "سلوك غير سوي مدفوع بمدرجات خاطئة لدى الفرد الغاش وذلك في سعيه وراء إشباع بعض الدوافع أو الحاجات مثل الحصول على النجاح أو درجات عالية من أجل التفوق ويكون ذلك دون الاعتماد على النفس أو الاجتهاد"⁷⁷ بما ينعكس سلباً على طبيعة المخرجات الجامعية وامتداد أثارها إلى المجتمع ككل. لذلك لا بد من الإشارة إلى خطورة انتشار مثل هذه الممارسات التي تتطلب إلى جانب الرفض المجتمعي دراسات علمية عميقة لتشخيص الظاهرة ومعرفة عوامل انتشارها وأساليب الوقاية منها. فهناك بحوث ودراسات إهتمت بمثل هذه الظواهر وإبراز مدى تطورها، حيث أشار "اريكسون" إلى انتشار ظاهرة الغش و أوضح من خلال دراسته أن 54% من الطلاب و 35% من الطالبات يلجأون إلى الغش في الإمتحانات⁷⁸. وفي نفس السياق أشارت العديد من الدراسات إلى ضرورة إعادة النظر في طبيعة نظام التقييم والإمتحانات وتكييفها بما يتوافق وقدرتها على قياس مستويات مختلفة من التحصيل العلمي في ظل ارتفاع معدلات الغش وتطور حجم الظاهرة التي أخذت منحنى تصاعدي كما أوضحت دراسة "هاينس"⁷⁹ أيضاً.

إن تطور ظاهرة الغش من حيث الأساليب والأدوات المستخدمة من طرف الطلبة تستدعي فعلاً تقويم آليات التقييم بما يتناسب وتقليص مساحة الغش. لكن المتتبع لتنامي مستوى هذه الممارسات اللامعيارية قد يطرح التساؤل حول الدوافع الكامنة وراء اعتماد مثل تلك الوسائل غير المشروعة بالتوازي مع هدف النجاح وتحقيق معدلات عالية أو الهروب من الرسوب و الفشل، فقد يقوم الطالب بالغش لإشباع حاجات أخرى مثل تأكيد الذات ولفت نظر الآخرين أو التحدي أو الإنتقام وفي هذه المرحلة لا يشعر الطالب

⁷⁵ <https://archiguelma.blogspot.com/2017/02/webometrics-2017.html>.

⁷⁶ صابر بلدي: السرقات العلمية تنسف قيمة الجامعة في الجزائر، جريدة العرب، العدد 07، 10564، 2017-03، ص. 17.

⁷⁷ فيصل محمد خير الزاد: ظاهرة الغش في الاختبارات الأكاديمية لدى طلاب المدارس والجامعات- التشخيص واساليب الوقاية والإصلاح، دار المريخ، الرياض، 2002، ص. 24.

⁷⁸ Erickson Maynard, Smith Walton : On the Relationship between self –reported and actual deviance, An Empirical test, Hamboldt journal of Social relation, Vol1, N8, 1974, PP.106-113

⁷⁹ Haines.V,J.labeff: Student cheating and perceived social control by college students, Free inquiry creative sociology, Vol 14, N1, 1986, PP.13.16.

بخطورة الغش وعواقبه بعد أن اختبر ذلك في مواقف عديدة⁸⁰ وهذا ما يشير إلى تداخل العديد من العوامل النفسية والاجتماعية التي تشكلت من خلالها مثل تلك السلوكات المنحرفة والمرفوضة اجتماعيا. إلا أن الخطورة قد تكمن في تمرد الطالب على القواعد المعيارية للمجتمع وعدم تبنيها كقوانين ضابطة للسلوك وما يدعم هذا الطرح ملاحظات "ديكوف" خلال دراسته التتبعية لظاهرة الغش بين طلبة الجامعة فإضافة إلى الإرتفاع الملحوظ في نسبة الطلبة الممارسين للغش سجل عدم المبالاة بعواقب الغش الاجتماعية حيث أصبح الغش سلوكا عاديا. ولذا أصبح الطلبة أكثر خوفا من الأنظمة العقابية التي تطبقها الجامعة كعقوبة للممارسين للغش وليس من انفضاح أمرهم لممارستهم لسلوك غير مرغوب من قبل المجتمع⁸¹ وبالتقاطع مع هذه الدراسات والمشاهدات المسجلة في العديد من الجامعات الجزائرية يمكن التأكيد على تنامي ظاهرة الغش بالرغم من عدم توفر إحصائيات رسمية مدعمة للملاحظات الفاعلين في الوسط الجامعي. بعد الإشارة إلى بعض صور الإنحراف المرتبط بانتشار الممارسات اللامعيارية "الغش-السرقا العلمية-العنف" في الوسط الجامعي، نتساءل عن حدود علاقتها بالتحول القيمي في المجتمع الجزائري؟

3- الجامعة في قلب التحول القيمي للمجتمع الجزائري:

إنطلاقا من تصور دوركايم للامعيارية- الأنومي- التي تشتغل في نطاق الأزمات التي قد يمر بها أي مجتمع بالتوازي مع تسجيل معدلات معينة من التغير في بنية المجتمع وكيفية استجابته لمثل تلك التغيرات وما قد يرافقها من تحول على مستوى النسق القيمي الذي يعبر عن الناتج الاجتماعي للتكيف مع معطيات التغير الاجتماعي بفعل العديد من العوامل يمكننا كمقاربة التطرق لموضوع الانحراف عموما من باب علاقته بالتحويلات التي عرفها المجتمع الجزائري والحراك الذي تم تسجيله عبر العديد من المراحل بالتوازي مع تفاعله مع معطيات داخلية وخارجية وأثر ذلك على النسق الفرعي المتمثل في هذا السياق بالجامعة وانعكاساته على سلوكات فاعليه-الطلبة-.

هناك الكثير من المظاهر المرضية حسب الوصف الدوركايمي يمكن تصنيفها وفقا للضوابط السلوكية والقواعد المعيارية للمجتمع في دائرة الممارسات اللامعيارية التي تغلغت في جامعاتنا لتصبح جزءا من بنيتهما التكوينية كالغش في الإمتحانات والسرقا العلمية والعنف بمختلف أشكاله سواء كان جسديا أو لفظيا أو رمزيا، وتقاطع مختلف هذه الممارسات مع السلوك المنحرف الذي يعبر في هذا السياق عن مستوى معين من الخروج عن نسق التوقعات والقواعد الضبطية للوسط الجامعي حيث قد تحمل تلك الممارسات وفي كثير من الأحيان مدلول الناتج الاجتماعي من خلال تداخلها مع العديد من المحددات النفسية والاجتماعية والتي تتفاعل بدورها مع جملة من المتغيرات في بعدها الاقتصادي والسياسي والثقافي .

لقد عرفت الجامعة الجزائرية عبر مراحل تطورها العديد من المحطات لعل أهمها ما تعلق بإصلاحات منظومة التعليم العالي وإعادة الهيكلة بما يتوافق وحاجيات المجتمع وزيادة الطلب على التعليم وتكريس مبدأ تكافؤ الفرص كمعطى موضوعي أفرزته ضرورة الخروج من دائرة التمايز الاجتماعي الذي تشكل في إطار الحقبة الاستعمارية. حيث أخذت تلك السيورة منحى سجل من خلاله تطور مستمر لعدد الطلبة بالتوازي مع التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري ومنظومته القيمية فكان للتمازج بين هذه المعطيات أثر على مقروئية الشهادة "المعطى الكمي" في ظل إرتباطها خاصة بمحددات النجاح الاجتماعي التي سايرت متطلبات تحقيق المكانة الاجتماعية المرموقة في فضاء اجتماعي عرف العديد من التغيرات على مستوى البنية المفاهيمية والتصورية، بما في ذلك مفهوم المثقف والنخبة وموقعها ومكانتها في المجتمع خاصة مع تغلغل النزعة المادية في البنية المجتمعية والحراك الذي تتحكم به القواعد والقوانين التي يملها مجتمع الاستهلاك حسب "جان بودريار" والإستعراض المادي خارج نطاق المشاركة في سيورة التحديات التي يفرضها النظام العالمي الجديد في إطار امكانية المنافسة والتموقع في خريطة المجتمعات المنتجة للثروة "الرأسمال البشري" الذي يمثل فيها الطلبة الجامعيين أحد أهم الفاعلين كطاقة كامنة ومتجددة يمكن من خلالها التكيف مع الرهانات في عالم يمثل التغير فيه الثابت الوحيد الذي يتحرك في إطاره ويتحكم في سيورته.

⁸⁰ سعد محمد حسن: الأبعاد الاجتماعية لظاهرة الغش في الامتحانات، دراسة تطبيقية على عينة من طلاب المرحلة الاعداية بمدينة البيضاء، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية، جامعة بنغازي، العدد الثاني، مارس 2015، ص.10.

⁸¹ Diekoff G.M: collège cheating ten years later, reserch in higher education, vol.37, N.4, 1996, PP.487.502.

إن التصور القائم على تقلص الدور الوظيفي للجامعة ومحدودية مشاركتها في الحراك الاجتماعي والتنمية من خلال إنكماش دورها على مجرد منح للشهادات قد يمثل صورة نمطية من شأنها تغذية السلوكات المنحرفة لفاعليها انطلاقاً من التأسيس لإنتشار العديد من التصورات المنحرفة في حد ذاتها وتغذية المفاهيم التي تحاكي محدودية أداء الجامعة وعدم قدرتها على الاندماج مع متطلبات قيم مجتمع المعرفة التي يُنحت في إطارها مفاهيم الكفاءة والاستحقاق والإمياز والتفوق والجودة، بما يتنافى أو يتعارض مع الممارسات اللامعيارية على مستوى سلوكات الطلبة الجامعيين لعل أبرزها ما تم ذكره في سياق حصر بعض السلوكات المنحرفة، كالغش والسرقة العلمية والعنف بمختلف أشكاله ومظاهره لما لها من أثر سلبي على مخرجات الجامعة وأدائها بصفة عامة. عندما يتحول الغش أو السرقة العلمية إلى قيمة إجتماعية يستندمجه الطالب الجامعي في مساره العلمي والأكاديمي يُطرح التساؤل عن عملية الضبط الاجتماعي ومسؤولية المجتمع ومؤسسات التنشئة الاجتماعية انطلاقاً من الأسرة وصولاً إلى الجامعة وفقاً للتصور الذي ينطلق من "التربية مدى الحياة" لجون ديوي" والدور المنوط بمؤسسات التنشئة في صياغة وبناء المنظومة القيمية للفرد والمساهمة في تشكيل السلوك الذي يتوافق مع المتطلبات الوظيفية للمجتمع كإنعكاس موضوعي لطبيعة القيم التي يحملها الفرد.

لعل الحديث عن أزمة قيمية في المجتمع يمثل أحد أهم المقاربات السوسيولوجية لفهم العوامل الكامنة وراء انتشار مثل تلك الممارسات اللامعيارية في الوسط الجامعي، فالتحول في سلم القيم لصالح النزعة المادية بمختلف مكوناتها وعناصرها وآليات اشتغالها انعكس على معايير النجاح الاجتماعي وانسحبت محدداته المرتبطة بالرأسمال المعرفي والعلمي لصالح تموقع الرأسمال المادي أو الإقتصادي كمحدد أساسي للمكانة الاجتماعية وتداخلها مع سلم التصنيف المجتمعي القائم على التراتبية لصالح النفوذ وامتلاك السلطة وبالتالي تشكل أو إعادة إنتاج التفاوت الاجتماعي بناءً على تلك المعايير في مختلف الفضاءات الاجتماعية بما فيها الجامعة مما أدى إلى تراكم العناصر السلبية كأغلبية نفسية تتحرك في إطار ضرورة تفعيل استراتيجيات فردية أو جماعية حسب تعبير "ريمون بودون" لتسلك السلم الاجتماعي باستخدام وسائل مشروعة أو حتى البدائل غير المشروعة وفقاً لتصوير روبرت ميرتون" خاصة إذا تقلصت مساحة الإعتماد على الوسائل المشروعة لبلوغ الأهداف والطموحات.

إن تفاعل هذا المعطى القائم في البناء الاجتماعي ساعد على تفكك نسق القيم المبني على تقديس العمل والمثابرة والتنافس مما انعكس في شكل استجابات إنحرافية قد تبلورها كما قلنا الاستراتيجيات الفردية والجماعية للتكيف مع الواقع المعاش والبحث عن التمووقع في المنظومة المجتمعية وفقاً للآليات التي يشتغل ضمنها الفضاء الاجتماعي بالتقاطع مع محددات النزعة المادية "الاستهلاكية" فتضخم الشهادات كمعطى كمي مقابل الجمود على مستوى سوق العمل وعدم قدرته على إمتصاص فائض الشهادات وإحتوائه في شكل مناصب عمل دائمة ومنتجة من شأنه ألبا التقليل من القيمة العلمية للشهادة مما قد يفرز نماذج "لذوات مهدورة" كما يصفها "مصطفى حجازي" تعاني من الإحباط والانهازمية في ظل تفاعلها مع بيئة إجتماعية غير منتجة وروتينية، "فالاحباط الذي يتضمن إدراك الفرد لعائق يحول دون إشباعه لحاجاته أو توقع لحدوث هذا العائق في المستقبل مع تعرض الفرد لنوع من أنواع التهديد قد تفرز أشكالاً مختلفة من العنف"⁸². حيث يعايش الطالب الجامعي في مرحلة من المراحل حالة من الصراع الداخلي نتيجة لعدم التوافق بين نسق الطموحات والتوقعات لتصبح بذلك الجامعة فضاءاً للإستجابات المنحرفة سواء في شكل عنف جسدي أو لفظي أو رمزي بالتقاطع مع إعادة إنتاج ثقافة الشارع وكإمتداد لتقلص فرص تحقيق الذات أمام انتشار نماذج الفشل المتكررة في صورة بطالة مقنعة وبالتالي يمكن القول بأن انحراف الطالب الجامعي قد يكون نتيجة حتمية ورد فعل عكسي على عدم قدرة النسق الكلي والنسق الفرعي الذي تمثله الجامعة في هذا السياق على إشباع حاجاته. يمكن من خلال هذا المشهد الجزئي التنبؤ بإرتفاع معدلات الإحباط وتشكله كعنصر تكويني في البناء الاجتماعي وبإسقاط هذه المعطيات على وضعية الطالب الجامعي في إطار عملية التفاعل، يمكن القول بإمكانية تحوله من موقع الفاعل الاجتماعي وتصنيفه في دائرة النخبة الفاعلة إلى دائرة العبي الاجتماعي، خاصة إذا لم يعمل المجتمع بمختلف مؤسساته على إعادة النظر في منظومته القيمية و تفعيل آلياته الضبطية والرقابية للحد من مظاهر الإنحراف نظراً للمسؤولية الفردية والجماعية حول إنتشار الممارسات

محمد عبد القادر قواسمية: جنوح الأحداث في التشريع الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص. 91. 82.

اللامعيارية في الفضاء الجامعي وخلق مساحة للانحراف بمختلف أشكاله وأثر ذلك على أداء الجامعة وطبيعة مخرجاتها، التي يمكن أن تتحول وفقا لهذه السيرة حسب تمثيلات العديد من الفاعلين في الوسط الجامعي إلى مجرد "محاشد لمحو الأمية" بالتوازي مع تنامي الانحراف والتعقيدات المصاحبة لتطور صوره وأشكاله وإمكانية تحوله إلى جرائم قد تهدد الجامعة ومكانتها في المجتمع.

خاتمة:

يمثل السلوك المنحرف بمختلف صوره وأنماطه أحد أهم العوائق التي يمكن أن تؤثر على ديناميكية الجامعة، وإمكانية مشاركتها في التنمية إنطلاقا من القيمة المضافة للرأسمال البشري، خاصة أن الممارسات اللامعيارية للفاعلين في الفضاء الجامعي قد تمثل مرآة عاكسة تتقاطع في جملتها مع طبيعة المنظومة المجتمعية. فإنتشار الظواهر غير الصحية في النسيج الاجتماعي وإمتدادها للجامعة قد يعد مؤشرا على محدودية تأثيرها في المجتمع خاصة أن الجامعات في الدول المتقدمة تعتبر محركا للتنمية فالرهان القائم في القرن الحالي متعدد الأوجه بالتوازي مع التحولات المتسارعة التي تفرزها العولمة لذلك فالتحديات التي تواجه الدول النامية وفقا لهذه المعادلة هي ضرورة الحراك باتجاه تهينة المناخ الملائم للنهوض بمشروع مجتمع المعرفة، خاصة أن التغاضي مثلا عن العنف أو السرقة العلمية أو الغش كظاهرة متنامية في جامعاتنا قد يستنزف إمكانية المشاركة الحقيقية في النهوض بالمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

مراجع باللغة العربية:

- 1- السمرى عدلي وآخرون: علم اجتماع الجريمة والانحراف، دار المسيرة، عمان/الأردن، 2010.
 - 2- طه عبد العظيم حسين: سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007.
 - 3- فرويد سيغموند: قلق في الحضارة، ط. 4، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1996.
 - 4- محمد خير الزاد فيصل: ظاهرة الغش في الاختبارات الأكاديمية لدى طلاب المدارس والجامعات-التشخيص وأساليب الوقاية والإصلاح، دار المريخ، الرياض، 2002.
 - 5- محمد عبد القادر قواسمية: جنوح الأحداث في التشريع الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
 - 6- ويتمر باربرا: الأنماط الثقافية للعنف، ترجمة ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، العدد 337، الكويت، 2007.
- الجراء والمجلات:
- 7- بليدي صابر: السرقات العلمية تنسف قيمة الجامعة في الجزائر، جريدة العرب، العدد 07، 10564-03-2017.
 - 8- محمد حسن سعد: الأبعاد الاجتماعية لظاهرة الغش في الامتحانات، دراسة تطبيقية على عينة من طلاب المرحلة الاعدادية بمدينة البيضاء، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية، جامعة بنغازي، العدد الثاني، مارس 2015.

المواقع الالكترونية:

- 9- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها، قرار رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016.

<http://www.univ-msila.dz/ar/wp-content/uploads/2016/08/PLAGIAT.pdf>

- 10- <https://archiguelma.blogspot.com/2017/02/webometrics-2017.html>

مراجع باللغة الأجنبية:

- 11- Diekoff G.M: College cheating ten years later, reserch in higher éducation, vol.37,N.4,1996.

- 12- Ekaterina Lytkina :Anomie and Anomia-An Approach towards the measurement of social well- being and deviance ,laboratory for comparative social research S E,Moscow,2012.
- 13- Erich fromm:The anatomy of human destructiveness,holt rime hart & Winston inc, new york,1973.
- 14- Erickson Maynard, Smith Walton :On the Relationship between self –reported and actual deviance, An Empirical test,Hamboldt journal of Social relation, Vol1,N8, 1974.
- 15- Haines.V,J.labeff:Student cheating and perceived social control by college students, Free inquiry creative sociology,Vol 14,N1,1986.